# مسرحية:

# على ضفاف الخلود

## مسرحية ذات فصل واحد


**تأليف**

**مالك العظماوي**

شخوص المسرحية Characters:

**********

- القائد الأول
- القائد الثاني
- الحارس
- الراوي
- الشاب الأول
- الشاب الثاني

المشهد الأول:

الوقت: منتصف الليل

الإضاءة:

(إضاءة خافتة على خشبة المسرح، صوت أذان بعيد يتداخل مع دقات ساعة قديمة.. رجلان يجلسان على طاولة خشبية صغيرة، وأمامهما خريطة مطوية. وجهيهما نصف مغمور في الظل، إضاءة خافتة دافئة، ألوان خضراء وخشبية هادئة مع بقعة ضوء ناعم على الطاولة).

الصوت:

(صوت أذان بعيد جداً مع دقات ساعة خشبية متقطعة، خلفية صوت هادئة لتعزيز أجواء السكون والتوتر.. صوت ورق الخريطة عند فتحها).

القائد الأول (بصوت هادئ، لكنه حازم):

اهلا بك، كنت انتظرك منذ الغروب

القائد الثاني (بابتسامة وحزم):

كنت أعد العدة لأجمع رجالا أفذاذا على طريقة أبي عبد الله الحسين حينما اختاره أصحابه!

القائد الأول:

نعم، والليل طويل... لكن الفجر أقرب مما يظنون.. لقد تعبنا من عدّ الجراح، لكننا لا نعرف طريقًا غير هذا الطريق.

القائد الثاني (ينظر إلى الخريطة):

كل طريق محفوف بالخطر... لكن ما فائدة العمر إن لم نصنه بدمنا؟ إننا نحمل أمانةً أثقل من الجبال، والريح تتربص برايتنا.

القائد الأول:

لا أهاب الموت إذا جاء واقفًا أمامي، لكنني أهاب أن تموت الحكاية في صدور الرجال.

القائد الثاني:

الراية لا تسقط طالما هناك رجال كحبيب بن وظاهر الأسدي والحر بن يزيد الرياحي، ولطالما هناك شباب شجعان كعلي الأكبر والقاسم بن الحسن.

القائد الأول:

أنت أخي ورفيقي وسندي ولم تتأخر عن نصرتي يوماً قط.. أرى فيك العباس بن علي بن أبي طالب، وأرى اخوتنا كمؤاخاة عليّ ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

القائد الثاني:

لم أكُ يوما أعيش لنفسي، بل كنت دائما أعيش للآخرين، فقد نذرت نفسي من أجل مساعدة الاخرين بغض النظر عن لونهم وجنسهم وديانتهم، فكيف أبخل بنفسي عنك وأنت مني وأنا منك.

القائد الأول:

اعلم هذا جيدا، ويعلم الناس من حولي بأفعالك المشرفة في عقر دار العدو، وعلى شواطئ البحرين العربي والأحمر، لم تبخل بمساعدة وعون وذخيرة بل ورجال

القائد الثاني:

لا تلمني، فهذا تكليفي ولم يكن منة من أحد ومن لم يفعل ما فعلت فهو مقصر وعليه أن يحضر جوابا عند لقائه ربه

القائد الأول:

بوجودك أرى كل شيء جميلا ولا أرغب بشيء سوى وجودك معي، أرجو منك أن لا تفارقني ولا تبتعد عني، فالليل اليوم جميلا على الرغم من طول انتظاري اليك، وأرى بريق النجوم يلمع أكثر من ذي قبل، وعلى يديك تجف دموع اليتامى وتنام عيون الخائفين.

القائد الثاني:

لولا وجودك أنت هنا لما حصلت السكينة للذين كانوا ينامون في جوف الشيطان الذي أراد أن يبتلعهم، فكنت أنت ورفاقك رمحا طويلا غرس في جوف التنين ومنعه من ابتلاع الناس وممتلكاتهم.

القائد الأول:

لقد راهن الشياطين على ابتلاع وطني.. وهرب الجبناء، وصفق الانتهازيون، ورحب المخدوعون، وصدق المغفلون.. ولم يبق سوى نفر قليل من الرجال الذين وصفتهم قبل قليل، بأنهم ثلة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون. فتسابقوا الى الموت كسباق أولئك الى حطام الدنيا الزائلة. فمنهم لم يستطع ارتداء حذاءه فجرى حافيا ومنهم لم يودع عياله فتركهم رقودا وانسل من فراشه راكضا، ومنهم من ترك خطيبته التي فارقها الى الابد على أمل أن يلتقيا عند رب رحيم.

القائد الثاني:

أخباركم عندي، وتفاصيلها في ذاكرتي.. وكلها محل فخر واعتزاز لكل أحرار العالم

القائد الأول:

وهذا كله بفضل الله ووجود بركات العالم الرباني الجليل

القائد الثاني:

اليوم جئت لك لنكمل ما بدأنا ونحول دون تنفيذ مخططات الأعداء الذين يريدون بكم وبنا شراً.. لنفعل كل ما بوسعنا ما دام هناك دم يسري في عروقنا

القائد الأول:

لكنك فعلت ما فيه الكفاية، ولا نريد أن نحملك أكثر من هذه، فحان الوقت لتأخذ قسطاً من الراحة وتعود لأهلك وذويك

القائد الثاني:

كيف تريدنا أن نفترق وأنت طلبت مني قبل قليل أن أتركك تحت أي ظرف، فهل تريدني أن أسكن الى الراحة وأموت كما يموت الجمل حتف أنفه! فلقد قضيت عمري بين الشظايا والرصاص متنقلا من معركة الى أخرى، وأرض لبنان تشهد وفلسطين واليمن وسوريا وعراق الحسين يشهد أيضاً، فهل يعقل أعود الى بيتي لأموت على فراشي كما يموت البعير؟!

(صوت خطوات بعيدة، تقترب شيئًا فشيئًا. يدخل رسول صغير، يحمل رسالة مغلقة.)

الرسول (بلهجة مضطربة):

موعد السفر... تغيّر، الأرض من حولكم لم تعد صافية... العيون تترصد.

القائد الثاني (يبتسم بثقة):

ليكن... فالطريق الذي اخترناه لا يعبُره إلّا من عرف قدره.

(تسود العتمة للحظة، ثم يسطع ضوء أبيض قوي، كأنّه إشارة لبداية الرحلة.)

المشهد الثاني: ساعة الحقيقة

الوقت: بعد منتصف الليل

الإضاءة:

(إضاءة باردة تميل إلى الأزرق، ضباب خفيف يغطي أرضية المسرح، صوت محركات طائرات في الخلفية. القائدان يسيران بخطوات ثابتة، بينما يظهر خلفهما ظلّ حراس يرافقونهما.)

القائد الأول (بصوت هادئ كأنه يحدّث نفسه):

كم يشبه هذا الصباحَ وجوهَ الشهداء... باردٌ، لكنه دافئٌ من الداخل.

القائد الثاني (ينظر إلى السماء):

ما أغرب أن تلتقي الأرض والسماء في مكان كهذا... المطارات دائمًا تفصل الناس، لكننا اليوم جئنا لنجمعهم.

القائد الأول:

عجيب أمر المطارات، ففيها الناس تختلف عن بعضها، [لكل وجهة هو موليها]، فالوجهات تختلف والرحلات تختلف، والنوايا تختلف

القائد الثاني (مبتسما):

من المؤكد، [كل يعمل على شاكلته]، فرحلة الانسان تعبر عن نواياه ووسيلته، فمنهم من يروم الوصول الى هدف معلوم ومنهم يريد تحقيق غايته والغاية تختلف باختلاف الهدف، أليس كذلك؟

القائد الأول:

نعم، فمن خلال النوايا الصادقة تحقق النصر المبين على عصابات البغي والفساد.. واستطاع العراقيون أن يسحقوا بأقدامهم مشروع الذبح على الهوية! والقتل باسم الدين، وتفكيك المجتمع واضعافه..

القائد الثاني:

انظر يا أخي، درست جميع مخططاتهم في مختلف البلدان التي زرتها، فوجدتها متشابهة من حيث الأهداف والغايات، خلاصتها يريدون أن يجعلوا شعوب تلك البلدان عبيدا لهم يرسمون لهم ويخططون وعلى هؤلاء السمع والطاعة والتنفيذ.

القائد الأول (مقهقها):

لكن شعوبنا كانت واعية لمخططاتهم وأحبطتها، فهم اليوم حائرون!

القائد الثاني:

بحسب منهجهم ومعتقدهم، من لم يكن في عِداد مخططهم فهو ضدهم، والمخطط معلوم للجميع هو منهج (التطبيع)، فالخائفون والمرعوبون التحقوا بمخططهم وساروا في ركبهم، بعدما كان معيبا على الانسان أن ينطق باسم عقيدتهم!

القائد الأول:

لقد تسابق الجبناء للالتحاق بمعتقدهم الجديد الذي يدعمه شيطانهم الأكبر، والذي يحاولون من خلاله طمس شريعة السماء، فهل كانوا هؤلاء أكثر حكمة من الإله ليدمجوا الشرائع مع بعضها؟ فلو كان اندماج الشرائع الإلهية مع بعضها لمصلحة البشر لدمجها الإله.. ولكن.. أين الدين؟

أين المعتقدات؟

أين العروبة ان عُرُبا كما يزعمون؟

(صوت جهاز اتصال قصير الموجة يقطع الصمت: همسات متقطعة، كلمات غير واضحة.)

أحد الحراس (بهمس):

سيدي... هناك حركة غريبة عند البوابة الشرقية.

القائد الأول (بثبات):

تجاهلوا الضوضاء... إن كان للموت ميعاد، فلن يؤخره حذرٌ ولن يقدّمه تهور.

(تتحرك الإضاءة تدريجيًا نحو الأحمر الداكن، إيقاع الطبول يعلو، أصوات الريح تختلط بصوت طائرة تهبط.)

القائد الثاني (بابتسامة خفيفة نحو رفيقه):

أتعلم؟ ... كنت دائمًا أظن أن النهاية ستكون في ساحة المعركة، لا على أرض ملساء كهذه.

القائد الأول:

المكان لا يغيّر المعنى... المهم أن تظل الراية مرفوعة، وأينما حلّ الأجل تحققت الغاية من الرحلة المؤجلة

القائد الثاني:

اليوم أحلى يوم في حياتي، أشعر بأن جميع غاياتي تحققت، لقائي بك ووجودي على أرض عليّ والحسين، وألقمت الشيطان حجرا فلم يعد أمامه ابتلاع شيء الا بموتي!

(ضوء أبيض حاد يملأ المكان فجأة، يليه صوت انفجار مدوٍ. تتوقف الإضاءة، ويعم الظلام. ثم يُسمع صوت راوٍ)

الراوي (من الظلام):

في تلك اللحظة...

لم تنطفئ الأرواح، بل اشتعلت في قلوب الملايين، رحل الجسد، وبقي الاسم...

(على الشاشة الخلفية، يظهر اسما القائدين لأول مرة بخط أبيض مضيء: أبو مهدي المهندس – قاسم سليماني. يعلو صوت نشيد حزين، ويغلق المشهد)

المشهد الثالث: ما بعد الغياب

الوقت: قبل الفجر

الإضاءة:

(إضاءة خافتة على خشبة المسرح، أصوات هادئة لرياح الليل. على الجانب الأيسر، تُرى راية ممزقة لكنها مرفوعة. على الجانب الأيمن، يجلس شابان يربطان حزام معدات عسكرية)

الشاب الأول (وهو ينظر إلى الراية):

قالوا إنهم رحلوا... لكنني أراهم في كل خطوة نخطوها.

الشاب الثاني (بحزم):

رحل الجسد، لكن الأثر أقوى من أن يُمحى.. إنهم هنا... في قلوبنا، في صوت الأرض، في كل نفس نتنفسه حرية.

(يدخل الراوي ببطء من عمق المسرح، يحمل كتابًا قديمًا، يفتحه ويقرأ بصوت عميق الراوي يمشي ببطء من عمق المسرح ويحمل الكتاب كأنه يحمِل إرثًا ثقيلًا)

الراوي:

"كانوا رجلين من زمنٍ نادر، حملا السيف في زمنٍ ظنّ فيه الناس أن السيوف نامت، في المطار صعدت أرواحهما، لكن حكايتَهما هبطت في قلوب أمة بأكملها."

(تتغير الإضاءة إلى ذهبي دافئ، يظهر على الخلفية مشهد جماهيري كبير يرفع صور القائدين، لكن الصور غير واضحة المعالم تمامًا، كأنها تتشكل من الضوء.)

الشاب الأول (بصوت يعلو):

من اليوم... نحن الحكاية! والطريق الذي مشيتموه لن ينقطع.. ونحن الذين تعلمنا منكما كيف يكون للحياة معنى وللحرية قرابين وللكرامة تضحيات

الشاب الثاني:

نحن صرخة الحسين في وجه يزيد العصر المتمثلة بـ هيهات منا الذلة! سنعيد زينب من ركبها مع كل النساء، ولا نسمح أن تسبى امرأة من آمرلي ولا من غيرها.

الشاب الأول:

سنسير بذات الدرب الذي رسمتموه لنا ولن نحيد عنه طرفة عين

الشاب الثاني:

سنكتب أسماءكم على أبواب المدن... وسنروي لأبنائنا أن الفجر الذي نعيشه، دُفع ثمنه بدمكم.

الشاب الأول:

ستنبت بكل قطرة من دمائهما شجرة للحرية، وسيظهر ألف رجل ورجل يسير بنهجهما

الشاب الثاني:

نحن أمة تنجب الرجال، ومن يغيب عن المشهد يترك لوحتين، الأولى: لوحة المسير على نهجه، والثانية: لوحة الحزن على فقده، وهذه الأخيرة هي التي تجعل الإصرار والعناد يملأ قلوب الرجال ليكملوا المسيرة

الشاب الأول:

وداعا بحجم الأمة وما قدمتما لها من تضحيات، وداعا بثقل هموم الثكالى والأيتام الذين كانوا يتطلعون بوجهيكما صباحا ومساء..

وداعا بوزن العهد الذي بيننا وبينكما سنبقى سائرين بدربكما وحاملين الراية التي حملتموها، وداعا بقدر ما نلتما من خلود في نفوس الرجال..

(تعلو موسيقى ملحمية، وتظهر على الشاشة الخلفية جملة:

"هناك رجالٌ... لا يرحلون."

تسقط الإضاءة تدريجيًا، ويغلق الستار)

النهاية